مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص211- ص248 يناير 2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

الواو
في قراءات القراء ورسم المصاحف

د. أحمد محمد مفلح القضاة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

ملخص: إن في علم القراءات القرآنية قضايا كثيرة جديرة باهتمام الباحثين والدارسين، ومن هذه القضايا: الواو في قراءات القراء، وموقعها في رسم المصاحف بين الإثبات والحذف، أو التناوب بينها وبين حرف آخر، كالفاء، وأو..

وهذا البحث يهدف إلى جمع المواضع التي اختلف فيها القراء بين إثبات الواو وحذفها، والمواضع التي قرأها بعضهم بالواو، وبعضهم بالفاء، والمواضع التي قرأها بعضهم بالواو، وبعضهم بأو، ... والتي ظهر الاختلاف فيها بين المصاحف، ثم توجيه كلِّ قراءة من هذه القراءات، وبيان معناها ودلالتها.

إن الواوات التي وقع فيها الخلاف بين القراء كثيرة جداً، ولكنّ كثيراً منها رُسم في جميع المصاحف بصورة واحدة، وإن اختلف القراء في قراءته بوجهين أو أكثر، وترتّب على اختلافهم في القراءة اختلاف في المعنى أو الإعراب أو التصريف، لكن هذا كله خارج نطاق البحث، وعسى أن يكون ميداناً لبحث آخر.

وعلى الرغم من تناول القراء والمفسرين واللغويين لهذه المواضع في ثنايا كتبهم فإنني لم أجد من أفردها بكتاب أو بحث مستقل، ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، وسَبْقُه إلى جمع هذه المواضع وترتيبها وتوجيهها، وتقديمها في عملٍ واحدٍ ينتفع به الدارسون.

The letter "Waw" in the Readings and Writings of the Holy Quran reciter and the way it is written

Abstract: There are many problems related of the science of the readings of the Quran. This paper looks into the problem of the letter "Waw" in the different readings, its location in the writing of the Quran between affirmation or cancellation and its interchanging role with other letters. The paper highlights the places where the readers differed as to mentioning, and cancelling the letter "Waw" and the result of the differences in meanings of each type of reading.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن علم القراءات القرآنية من العلوم التي تتصل بكتاب الله تعالى اتصالاً وثيقاً، وتخدم فهمه وتدبره ومعرفة معانيه، من حيث كون قراءة كلمة بوجهين أو أكثر مما يعين على إضافة معانٍ لا يمكن فهمها من قراءة واحدة، فكان جديراً أن نقف مع هذه القراءات القرآنية، لمعرفة وجوهها ودلالاتها، وما تضيفه إلى معنى الآية الكريمة.

وهذا البحث قد اخترت فيه أن أجمع الكلمات القرآنية التي قرئت بإثبات الواو أو حذفها، أو قرأها بعض القراء بالواو وبعضهم بالفاء، أو دار اختلافهم في قراءتها بين الواو وأو، أو تغير الإعراب أو التصريف فأثر على الواو،.. ثم أصنفها وأرتبها وفق منهج معين، ثم أبدأ بتناولها واحدة بعد الأخرى، مبيناً مذاهب القراء العشرة في قراءتها، وموافقة كلٍّ من القراءتين في الكلمة لرسم بعض مصاحف الأمصار، ثم تفسير الآية التي وردت فيها القراءتان، وبيان سياقها، ثم بيان وجهِ كلٍّ من القراءتين ومعناها.

وقد قدمت للبحث ببيان بعض القضايا التي لها أثرها في تجلية ما يرد فيه من مصطلحات، حيث تحدثت عن معنى القراءات، والمقصود بعلم القراءات، وعلم الاحتجاج لها، وعلم رسم المصاحف،.. وقد حرصت أن أنقل اختلاف القراء العشرة من مصدرين هما: كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ت833هـ، وكتاب إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة للقباقبي ت 849هـ، وأن أنقل اختلاف المصاحف من مصدرين هما: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني ت444هـ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ت833هـ. (1)

أما توجيه القراءات وبيان معانيها فقد رجعت في ذلك إلى كثير من أمهات كتب توجيه القراءات وكتب التفسير واللغة، محاولاً أن أصل إلى خلاصة وافية في توجيه كل قراءة.

---

(1) يُعدُّ كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري عُمدةً عند العلماء والباحثين في القراءات، لجمعه وشموله وتميزه بالتحقيق والإتقان، ولشهرة مؤلفه وتمكنه في العلوم الشرعية واللغوية عامة، وعلم القراءات خاصة، فهو خاتمة المحققين. ويُعد كتاب إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز من الكتب التي أكدت ووثقت ما في كتاب النشر من قراءات، وأضافت القراءات الأربع الشواذ. أما كتاب المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، فهو– رغم صغر حجمه - عمدة علماء رسم المصاحف، ومؤلفه أبو عمرو الداني أحد أبرز علماء القراءات والرسم والضبط، وسائر علوم القرآن.

إن ما قدمته في هذا البحث يشكل مجموعة متسقة من المعلومات في حقلٍ واحدٍ من حقول القراءات القرآنية ورسم المصاحف، محورُه حرف الواو في قراءات القراء، راجياً أن يكون لهذا البحث ما بعده في تناول مجموعات أخرى يؤلف بينها اتجاه واحد.

وقد جاء هذا البحث في مبحثين، اشتمل الأول على أربعة مطالب، واشتمل الثاني على خمسة مطالب، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف علم القراءات.

المطلب الثاني: القراء العشرة ورواتهم.

المطلب الثالث: الاحتجاج للقراءات.

المطلب الرابع: علم رسم المصاحف، وسبب اختلاف الرسم.

المبحث الثاني: مواضع الواو التي فيها اختلاف بين القراء، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما اختلف فيه القراء بين إثبات الواو وحذفها.

المطلب الثاني: ما اختلف فيه القراء بين القراءة بالواو أو بالفاء، وهما موضعان:

المطلب الثالث: ما اختلف فيه القراء بين القراءة بالواو أو بأو، وهو موضع واحد

المطلب الرابع: ما اختلف فيه القراء من حيث الإعراب، وهو ثلاثة مواضع

المطلب الخامس: ما اختلف فيه القراء من حيث التصريف، وهو موضع واحد:

ثم جاءت الخاتمة مبينة أبرز الأفكار والنتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول، وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف علم القراءات

أ) في اللغة: القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر: قرأ. يقال: قرأ، يقرأ، قراءةً وقرآناً، بمعنى: تلا، فهو قارئ، والقرآن مقروء: أي متلو.(1)

فالقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض.

ب) في الاصطلاح:

علم القراءات: هو العلم الذي يُعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم، واختلافها معزواً

---

(1) انظر: القاموس المحيط ص62.

إلى ناقله.(1) أو: هو علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف.(2)

المطلب الثاني: القراء العشرة ورواتهم

اتفق العلماء على تلقي قراءات الأئمة القراء السبعة، والثلاثة الذين بعدهم بالقبول والرضا، وهؤلاء القراء السبعة هم: نافع المدني (ت169هـ)، وابن كثير المكي (ت120هـ)، وأبو عمرو البصري (ت154 هـ)، وابن عامر الشامي (ت118هـ)، وعاصم الكوفي (ت127 هـ)، وحمزة الكوفي (ت156 هـ)، والكسائي الكوفي (ت189هـ).

والقراء الثلاثة بعد السبعة هم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني ت130 هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت205 هـ)، وخلف بن ثعلب البزار الكوفي (ت 229هـ).

وقد تم ترتيب القراء السبعة حسب الأمصار، فأهل المدينة المنورة أولاً ثم مكة المكرمة، ثم البصرة، ثم دمشق الشام ثم الكوفة، وبعد إلحاق القراء الثلاثة جاء ترتيبهم بعد السبعة، فقُدم المدني ثم البصري ثم الكوفي، إذ ليس في الثلاثة مكي ولا شامي.

وقد اختير عن كل إمام من هؤلاء الأئمة راويان:

فعن نافع المدني- قالون واسمه عيسى بن مينا (ت220 هـ) وورش واسمه عثمان بن سعيد (ت197 هـ)

وعن ابن كثير المكي- البزي واسمه أحمد بن محمد (ت205 هـ) وقنبل واسمه محمد بن عبد الرحمن (ت291 هـ)

وعن أبي عمرو البصري- الدوري واسمه حفص بن عبد العزيز (ت240 هـ) والسوسي واسمه صالح بن زياد (ت261 هـ)

وعن ابن عامر الشامي- هشام بن عمار (ت245 هـ) وابن ذكوان واسمه عبد الله بن أحمد (ت242 هـ)

وعن عاصم الكوفي – شعبة واسمه أبو بكر بن عياش (ت193 هـ) وحفص بن سليمان (ت180 هـ)

وعن حمزة الكوفي – خلف بن ثعلب البزار (ت229 هـ) وخلاد بن خالد الصيرفي (ت220 هـ)

---

(1) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص 3.

(2) القراءات وأثرها في علوم العربية، ص16.

وعن الكسائي الكوفي – أبو الحارث الليث بن خالد (ت240 هـ) والدوري واسمه حفص بن عبد العزيز (ت240 هـ)

وعن أبي جعفر المدني – ابن وردان واسمه عيسى بن وردان (ت نحو 160 هـ) وابن جماز واسمه سليمان بن مسلم (ت170 هـ)

وعن يعقوب البصري – رويس واسمه محمد بن المتوكل(ت238 هـ) وروح بن عبد المؤمن (ت234 هـ)

وعن خلف الكوفي – إسحاق بن إبراهيم الوراق (ت286 هـ) وإدريس بن عبد الكريم الحداد (ت292 هـ).[1]

القارئ	الراوي الأول	الراوي الثاني
1- نافع المدني	**قالون**	**ورش**
2- ابن كثير المكي	**البزي**	**قنبل**
3- أبو عمرو البصري	**الدوري**	**السوسي**
4- ابن عامر الشامي	**هشام**	**ابن ذكوان**
5- عاصم الكوفي	**شعبة**	**حفص**
6- حمزة الكوفي	**خلف**	**خلاد**
7- الكسائي الكوفي	**أبو الحارث**	**الدوري**
8- أبو جعفر المدني	**ابن وردان**	**ابن جماز**
9- يعقوب البصري	**رويس**	**روح**
10- خلف الكوفي	**إسحاق**	**إدريس**

جدول يبين أسماء القراء العشرة ورواتهم

المطلب الثالث: الاحتجاج للقراءات

الاحتجاج للقراءات: علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية، واتفاقها مع قواعد النحو واللغة، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقاً لشرط موافقة اللغة العربية ولو بوجه، كما يهدف هذا العلم

---

[1] انظر: مقدمات في علم القراءات، ص 83-123.

إلى رد الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات".(1)

وقد ألَّف العلماء على مر العصور كتبًا في الاحتجاج للقراءات متواترِها وشاذِّها، يوضحون عللها، ويكشفون عنها، فكانت بحق من الكتب القيّمة، لما لها من أهمية في النواحي اللغوية والنحوية، فضلاً عن أهميتها في الاحتجاج للقراءات.

ويمكن القول: إن دوافع التأليف في الاحتجاج للقراءات تنطلق من أمرين هما:

1- توضيح الأركان الثلاثة للقراءات الصحيحة، وهي: صحة السند، وموافقة العربية ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

2- الدفاع عن القراءات المتواترة، ضدَّ من توهم أن فيها لحناً.

ومن أهم كتب الاحتجاج للقراءات: (معاني القراءات) لأبي منصور الأزهري ت 370 هـ، و(الحجة في القراءات السبع) لابن خالويه ت 370هـ،و(الحجة للقراء السبعة) لأبي علي الفارسي ت 377 هـ، و(حجة القراءات) لابن زنجلة ت نحو 403 هـ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها وعللها لمكي بن أبي طالب القيسي ت 437هـ، والموضح في وجوه القراءات وعللها لابن أبي مريم الشيرازي ت نحو 565هـ، وغيرها.

وكان لكثير من كتب اللغة، وكتب التفسير، أثر بارز في توجيه القراءات، والاحتجاج لها، وبيان صحة وجهها من حيث اللغة.

وقد أسهم هذا النوع من التأليف في إغناء العربية، وخدمة لغة القرآن، حيث اتخذ القرآن محوراً، وجعله مداراً يدور حوله، وكم من مسألة عازبة، يعز عليك أن تجدها في المطولات النحوية، تجدها منشورة مبسوطة في كتب توجيه القراءات.

"إن كتب توجيه القراءات تمزج مستويات الدرس اللغوي الأربعة بعضها ببعض: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وتعد من أرقى الدراسات التطبيقية في اللغة العربية، وهي تمثل اللُحمة القوية بين علوم العربية وعلوم القرآن، وتصور التآخي بينهما في أعلى مراتبه، وأسمى درجاته ؛ لأنها تتخذ النص القرآني مجالاً للدرس، بقصد خدمته، ورفع ما يحيط بفهمه من حواجز، وتيسير ذلك الفهم من خلال تناول لغوي ميسر يعتمد التحليل، والإعراب، وذكر النظائر،

---

(1) مقدمات في علم القراءات، ص201.

والاستئناس بالرأي أو الآراء الأخرى، وتخريج ما في القراءة على كلام العرب، أو آراء العلماء ومذاهبهم".(1)

المطلب الرابع: علم رسم المصاحف، وسبب اختلاف الرسم

هو العلم الذي يبحث في معرفة خط المصاحف العثمانية، وطريقة كتابتها، والقواعد المتبعة فيها، خلافاً للرسم القياسي الإملائي، وقد اتفق أئمة الإقراء على لزوم مرسوم المصاحف فيما تدعو الحاجة إليه اختياراً واضطراراً، فيوقف على الكلمة الموقوف عليها وفق رسمها في الهجاء، وذلك باعتبار الأواخر.(2)

وقد عرفه الشيخ الضبّاع بقوله: "علم تُعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، وموضوعُه: حروف المصاحف العثمانية من حيث يبُحث فيه عن عوارضها من الحذف والزيادة والبدل والفصل والوصل ونحو ذلك".(3)

وقد نشأ هذا العلم بعد قيام الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنهم بجمع القرآن الكريم، واستنساخه في عدة مصاحف، عرفت بالمصاحف العثمانية، وقد قام عثمان رضي الله عنه بتوجيه هذه المصاحف إلى الأمصار الإسلامية الكبرى آنذاك، وهي: المدينة المنورة ومكة المكرمة ودمشق الشام والبصرة والكوفة، وأرسل مع كل مصحف قارئاً يُقرئ الناس بما في ذلك المصحف، وكان بين هذه المصاحف اختلاف في بعض المواضع، تبعاً لطريقة القراءة.

وحين نقول: رسم المصاحف فالمقصود هذه المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الأمصار، وقد كانت هذه المصاحف مجردة من النقط والشكل.(4)

لقد كان جمع القرآن في عهد عثمان نَسْخَاً لعدةِ نُسَخ من مصحف أبي بكر الصديق،(5) وإثبات القراءات الثابتة في هذه النُسَخ، واستبعاد القراءات التي ثبتَ نَسْخُها، وتَرْكُ القراءةِ بها.(6)

---

(1) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، ص 90.

(2) النشر في القراءات العشر، 128/2.

(3) سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ص 30.

(4) انظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ص 121-124، ودراسات في علوم القرآن والتفسير، ص65، والوجيز في علوم الكتاب العزيز، ص 130.

(5) كان كُتاب المصحف في عهد عثمان لا يكتفون بالنسخ من المصحف الذي كان عند حفصة، بل كانوا يراجعون الصحف الأخرى للتثبت والتوثق. انظر: تاريخ المدينة المنورة، وكنز العمال 248/2.

(6) قال القاضي أبو بكر في الانتصار: "لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس

وكان لهذا الجمع أثر عظيم في نشأة علم الرسم القرآني، فالصحابة حين كتبوا المصاحف آنذاك، كان همهم الأول أن يتخلصوا من أسباب الاختلاف بين المسلمين في تلاوة القرآن، ولأن وجوه القراءات المختلفة التي ورد القرآن بها، كانت سبيلاً إلى الاختلاف في طريقة أداء الكلمات القرآنية، فقد حاول الكُتاب أن يقللوا من الخلاف بين خطوط نُسخ المصحف ما أمكن، لتكون الكلمة برسمها الواحد في النسخ المتعددة، دالةً على جميع ما ثبت من وجوه القراءة في تلك الكلمة. وقد ثبت أن نفراً من الصحابة الكرام تلقوا القرآن كما جاء في العرضة الأخيرة، وأخذوه من فم رسول الله ﷺ بصيغته النهائية، وبوجوهه التي يُقرأ بها، وعلموا تبعاً لذلك ما ثبت من أوجه القراءة وما نُسخ، فلما كتبوا المصحف أيام أبي بكر - وهو نسخة واحدة - كانت هناك كلمات، تقرأ بأكثر من وجه، ولكن لا يمكن أخذ الوجوه التي فيها من خط واحد، مثل كلمة" ووصى"[سورة البقرة:132] حيث قُرئت أيضاً:" وأوصى"، وكلمة:" وسارعوا" [سورة آل عمران:133] قُرئت أيضاً:"سارعوا "، وكلمة:" تجري تحتها" [سورة التوبة:100] قُرئت أيضاً:" تجري من تحتها".(1) فكان أحد الوجهين مكتوباً في مصحف أبي بكرﷺ، والآخر محفوظاً في صدور الذين تلقوه، ففي مصحف عثمانﷺ حُلت مشكلة هذه الأوجه، بكتابة أحدها في نسخة أو أكثر، وكتابة الوجه الآخر في النسخ الأخرى، وبذلك حُفظت الأوجه الثابتة كتابةً في مصاحف عثمانﷺ.

أما المشكلة الأخرى التي سعت المصاحف العثمانية إلى حلها فهي أن عدداً من الوجوه التي كان القرآن يُقرأ بها، ولكنها نُسخت ولم ترد في العرضة الأخيرة، وظل بعض الصحابة يقرأون بها، إذ لم يعلموا بنسخها، كقراءة: "زقية واحدة" مكان "صيحة واحدة" [سورة يس:29]، وقراءة: "وأصوب قيلاً" مكان "وأقوم قيلاً"[سورة المزمل: 6](2) وغيرها، فكان المكتوب في مصحف أبي بكرﷺ هو المعروف الآن، وكانت القراءات المخالفة محفوظة في صدور الذين تلقوها ولم يعلموا

كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أُثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كُتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد. انظر: الإتقان في علوم القرآن ج1/ص166

(1) قرأ ابن كثير المكي: (تجري من تحتها) وقرأ الباقون: (تجري تحتها). النشر في القراءات العشر280/2.

(2) انظر: تفسير القرطبي 21/15، ونسب قراءة (زقية) إلى ابن مسعود، وعبد الرحمن بن الأسود. و41/19

حيث ذكر أن الأعمش قال: قرأ أنس بن مالك (وأصوب قيلاً).

بنسخها، فلما كُتبت المصاحف في عهد عثمان استُبعِدت تلك الكلمات التي ثبت نسخها، فلم تُكتب في أي من النُسخ. فكان هذا العمل الذي اتفق عليه الصحابة الكرام بمنزلة الإجماع على أن تلك الأحرف منسوخة لا يُقرأ بها، إذ لم تُثْبَت في خط الْمُصحف.(1)

ومنذ ذلك التاريخ صار ما وافق خط المصحف العثماني مقبولاً بشرط ثبوت نقله وروايته، وما خالف خط المصحف العثماني شاذاً لا يُقرأ به، ولو كانت له أسانيده الصحيحة، فإنه يُحمل على النسخ بالعرضة الأخيرة.

من هنا صار الرسم العثماني مقياساً لقبول القراءة، وصارت القراءة غير معتبرة إلا إذا توافر فيها شرط موافقة الرسم، ومن هنا أيضاً بدأ علم الرسم القرآني يتبلور ويظهر. وهذا ما يوضح لنا السبب في اختلاف المصاحف العثمانية فيما بينها، في بعض الكلمات، كما سيتضح من خلال الكلمات التي سأعرضها في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: مواضع الواو التي فيها اختلاف بين القراء، وفيه خمسة مطالب:

وفي هذا المبحث تتبعت مواضع اختلاف القراء وهي خمسة عشر موضعاً، وقسمتها على خمسة مطالب هي:

المطلب الأول: ما اختلف فيه القراء والمصاحف بين إثبات الواو وحذفها.

وفيه بيان مواضع الواو التي اختلف فيها القراء، واختلفت المصاحف في إثباتها وحذفها، وهي ثمانية مواضع:

1- قوله تعالى: (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه..) (116: البقرة).

قرأ ابن عامر (قالوا) بغير واو، وقرأها الباقون (وقالوا) بالواو.(2)

قراءة ابن عامر موافقة لرسم المصحف الشامي، وقراءة الباقين موافقة لرسم بقية المصاحف.(3)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

---

(1) انظر: الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني 61/1.

(2) انظر: النشر في القراءات العشر 220/2، وإيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، ص283.

(3) انظر: المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، ص102، والنشر في القراءات العشر 220/2.

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق بيان افتراءات اليهود والنصارى والمشركين، وضلالهم في معتقداتهم، والظلم الواقع منهم بتعطيل المساجد وبيوت العبادة، ومنع ذكر اسم الله فيها. قال تعالى:

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (117) {البقرة} .

توجيه القراءات

حذف الواو هنا له وجهان:

أحدهما: الاستئناف، فهو كلام جديد يسجل عليهم هذه المقولة التي افتروها على الله سبحانه حيث نسبوا إليه الولد.

والثاني: ملابسة الجملة وارتباطها بما قبلها في قوله: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه..) (البقرة 114)، بمعنى أن الذين قالوا اتخذ الله ولداً من جملة هؤلاء، بجامع تظاهرهم على الإسلام وإرادة غلبتهم، فلذلك استُغني عن الواو.(1)

ويوضح هذا قول مكي: إن قراءة ابن عامر (بلا واو) استئنافية غير معطوفة على ما قبلها وقد عُلم أن المخبر عنه بهذا القول هو المخبر عنه بمنع ذكر الله في المساجد، والسعي في خرابها(2)

أما القراءة بإثبات الواو فوجهها العطف، حيث عطفت هذه الجملة على جملة (ولله المشرق والمغرب..)(3)

---

(1) انظر: الحجة للقراء السبعة، بيروت، 369/1-370، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 83/2.

(2) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 260/1.

(3) انظر: الحجة للقراء السبعة 369/1-370، وحجة القراءات، ص111.

قال ابن عاشور: الضمير المرفوع بقالوا عائد إلى جميع الفرق الثلاث، وهي اليهود، والنصارى، والذين لا يعلمون، إشارة إلى ضلال آخر اتفقت فيه الفرق الثلاث.

ثم بين أن القراءة بالواو على العطف، وأن القراءة بغير واو على الاستئناف، فقال: "كأنَّ السامع بعد أن سمع ما مَرَّ من عجائب هؤلاء الفرق الثلاث جمعاً وتفريقاً تسنى له أن يقول: لقد أسمعتنا من مساويهم عجباً فهل انتهت مساويهم أم لهم مساوٍ أخرى؟ لأن ما سمعناه مُؤْذِنٌ بأنها مساوٍ لا تصدر إلا عن فِطَرٍ خبيثة.

وقد اجتمع على هذه الضلالة الفرق الثلاث، كما اتفقوا على ما قبلها، فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله. فتكون هاته الآية رجوعاً إلى جمعهم في قَرَن إتماماً لجمع أحوالهم الواقع في قوله: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين) [البقرة: 105] وفي قوله: (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) [البقرة: 113]. وقد ختمت هذه الآية بآية جمعت الفرق الثلاث في مقالة أخرى، وذلك قوله تعالى: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله) [البقرة: 118] إلى قوله: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) [البقرة: 118].(1)

وهكذا نجد أن كل قراءة تضيف معنىً جديداً، فالقراءة بإثبات الواو تجعل جملة (وقالوا اتخذ..) معطوفة على جملة: (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء..). والقراءة بغير الواو على الاستئناف، حيث تنتقل آية (قالوا اتخذ..) إلى ذكر كبيرة أخرى من كبائر هؤلاء المفسدين.

2- قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم..) (133: آل عمران).

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر المدني: (سارعوا) بغير واو، وقرأ الباقون: (وسارعوا) بإثبات الواو.(2)

القراءة بغير واو موافقة لرسم مصحف المدينة ومصحف الشام، والقراءة بإثبات الواو موافقة لرسم بقية المصاحف(3).

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الدعوة إلى طاعة الله ورسوله، والتحذير من ارتكاب المعاصي، فقبلها نجد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(1) التحرير والتنوير، 451/1.

(2) انظر: النشر في القراءات العشر 242/2، وإيضاح الرموز ص 327.

(3) انظر: المقنع ص 102، والنشر في القراءات العشر 242/2.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132)

توجيه القراءات:

القراءة بحذف الواو على وجه الاستئناف، أي بادروا وأقبلوا، وبإثبات الواو على أنها معطوفة على أطيعوا(1)،

ويوضح هذا ابن عاشور فيقول: "تتنزّل جملة (سارعوا..) منزلة البيان، أو بدل الاشتمال، لجملة (وأطيعوا الله والرسول) لأنّ طاعة الله والرّسول مسارعة إلى المغفرة والجنَّة، فلذلك فُصِلَتْ(أي قرئت بغير واو العطف)، ولكون الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنّة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصّالحة جاز عطف الجملة على جملة الأمر بالطّاعة، فلذلك قرأ بقية العشرة (وسارعوا) بالعطف.. (2)

والسرعة المشتقّ منها سارعوا مجاز في الحرص والمنافسة، والفور إلى عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة، ويَجوز أن تكون السرعة حقيقة، وهي سرعة الخروج إلى الجهاد عند النفير، كقوله في الحديث: "وإذا استُنْفِرْتُمْ فانفِرُوا".(3)

والمسارعة، على التقادير كلّها تتعلّق بأسباب المغفرة، وأسباب دخول الجنة، فتعليقها بذات المغفرة والجنة من تعليق الأحكام بالذوات على إرادة أحوالها عند ظهور عدم الفائدة في التعلّق بالذات.

وجيء بصيغة المفاعلة، مجرّدة عن معنى حصول الفعل من جانبين، قصد المبالغة في طلب الإسراع.." (4)

فالقراءة بحذف الواو على الاستئناف تتنزل منزلة البيان- كما قال ابن عاشور- فالتقدير:كأن سائلاً سأل: كيف نطيع الله ورسوله؟ فجاء الجواب: سارعوا إلى مغفرة من ربكم، أو على أنَّ (سارعوا) بدل اشتمال من (أطيعوا)، لأنّ طاعة الله والرّسول مسارعة إلى المغفرة والجنَّة.

---

(1) انظر: الحجة للقراء السبعة 38/2-39، وإرشاد العقل السليم 455/1، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 215/3، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، 183/1.

(2) التحرير والتنوير 216/3.

(3) صحيح البخاري، باب: لا يحل القتال بمكة ، رقم 1703، 367/6.

(4) التحرير والتنوير 216/3.

والقراءة بإثبات الواو على العطف، فالله سبحانه يأمرنا بأمرين هما: طاعة الله ورسوله، والمسارعة إلى الجنة والمغفرة.

3- قوله تعالى: (ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم..) (53: المائدة).

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر: (يقول) بغير واو، وقرأ الباقون: (ويقول) بإثبات الواو.

وقد اختلف القراء أيضاً في الرفع والنصب، فقرأ أبو عمرو ويعقوب بنصب الفعل (يقولَ)، وقرأ الباقون بالرفع، وعليه يكون في الآية ثلاث قراءات كما يلي:

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر: (يقولُ) بغير واو وبالرفع.

قرأ أبو عمرو ويعقوب: (ويقولَ) بإثبات الواو وبالنصب.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: (ويقولُ) بإثبات الواو وبالرفع.(1)

القراءة بحذف الواو موافقة لرسم مصاحف المدينة ومكة والشام، والقراءة بإثباتها موافقة لرسم بقية مصاحف الأمصار.(2)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق التحذير من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، والدعوة إلى موالاة الله ورسوله والمؤمنين، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ) (51-53: المائدة).

توجيه القراءات:

في الآية مسألتان:

1- الاختلاف في إثبات الواو وحذفها.
2- الاختلاف في الرفع والنصب في كلمة (يقول).

ولإلقاء الضوء على معنى الآية يحسن ذكر سبب نزولها:

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر 254/2-255، وإيضاح الرموز ص 362.

(2) انظر: المقنع ص 103، والنشر في القراءات العشر 254/2.

قال محمد بن إسحاق: كانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو قينقاع، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أَحْسِنْ في مَوَاليَّ. وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أَحْسِنْ في مواليَّ. قال: فأعرض عنه. فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم. "أرسلني". وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُئِي لوجهه ظُلَلٌ، ثم قال: "ويحك أرسلني". قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مَوَاليَّ، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة؟ إني امرؤ أخشى الدوائر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هُم لكَ."

قال محمد بن إسحاق: حدثني أبو إسحاق بن يَسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قَيْنُقَاع رسول الله صلى الله عليه وسلم، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبيّ، وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أحد بني عَوْف بن الخزرج، له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي، فجعلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبرأ إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولَّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم. ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات في المائدة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) إلى قوله: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) [المائدة: 56].(1)

يبين الله سبحانه أن المنافقين يتخذون اليهود أولياء، يحبونهم وينصرونهم ويدافعون عنهم، وفي الوقت نفسه يُقسمون لكم – أيها المؤمنون- أغلظ الأيمان أنهم معكم، هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم مرض، يسارعون في موالاة اليهود ونصرتهم، ويقولون: نخشى أن تدور علينا الدوائر، وتتقلب بنا الأحوال من خير إلى شر، فنحتاج إلى هؤلاء لينصرونا ويكونوا معنا كما كنا معهم.

يقول سبحانه: (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين)، والله قادر على أن يأتي بالفتح وينصر رسوله وأولياءه المؤمنين، وعندئذ سيندم هؤلاء المنافقون.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، 134/3.

وبعد هذا يظهر وجه كل من القراءتين، بحذف الواو وإثباتها، والقراءتين برفع الفعل ونصبه، فقوله: (يقول الّذين آمنوا) بدون واو في أوّله على أنّه استئناف بياني، فهو جواب لسؤال من يسأل: ماذا يقول الّذين آمنوا حينئذٍ؟ أي إذا جاء الفتح أو أمر من قوة المسلمين، ووهن اليهود يقول الّذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا.. (1)

أما قراءة: (ويَقولُ) بالواو وبالرفع فوجهها العطف على (فعسى الله)، وقراءة (ويقولَ) بالواو أيضاً وبالنصب فوجهها العطف على (أن يأتيَ). (2)

4- قوله تعالى : (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..)(43:الأعراف).

قرأ ابن عامر: (ما كنا لنهتدي) بحذف الواو، وقرأ الباقون: (وما كنا لنهتدي) بإثباتها. (3)

القراءة بغير واو موافقة لرسم المصحف الشامي، والقراءة بإثباتها موافقة لرسم بقية المصاحف. (4)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق آيات تتحدث عن حال المؤمنين حين أدخلهم الله تعالى جنة رضوانه، قال تعالى: (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)

توجيه القراءات:

القراءة بإثبات الواو: (وما كنا) على الاستئناف أو الحال(5)

والقراءة بغير واو (ما كنا) على الحال أيضاً. قال أبو حيان: "وقرأ ابن عامر (ما كنا) بغير واو.. وهي على هذا جملة موضحة للأولى، ومن أجاز فيها الحال مع الواو ينبغي أن يجيزها دونها"(1)

---

(1) انظر: الكشاف عن وجوه التأويل، 35/2، والدر المصون 302/4.

(2) انظر: التحرير والتنوير 223/4.

(3) انظر: النشر في القراءات العشر 269/2، وإيضاح الرموز ص396.

(4) انظر: المقنع ص103، والنشر في القراءات العشر 269/2.

(5) انظر: البحر المحيط 347/5، والدر المصون 324/5، وروح المعاني 173/6.

وجملة: تجري من تحتهم الأنهار) في موضع الحال، أي هم في أمكنة عالية تشرف على أنهار الجنّة.

وجملة: (وقالوا الحمد لله) معطوفة على جملة: (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)[الأعراف: 42].

والتّعبير بالماضي مراد به المستقبل أيضاً، كما في قوله: (ونزعنا)، وهذا القول يحتمل أن يكونوا يقولونه في خاصتهم ونفوسهم، على معنى التّقرب إلى الله بحمده، ويحتمل أن يكونوا يقولونه بينهم في مجامعهم.

والإشارة في قولهم: (لهذا) إلى جميع ما هو حاضر من النّعيم في وقت ذلك الحمد، والهداية له هي الإرشاد إلى أسبابه، وهي الإيمان والعمل الصّالح، كما دلّ عليه قوله: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) [الأعراف: 42]، وقال تعالى: (يهديهم ربهم بإيمانهم) [يونس: 9] الآية، وجعل الهداية لنفس النّعيم، لأنّ الدّلالة على ما يوصل إلى الشّيء إنّما هي هداية لأجل ذلك الشّيء.. والمراد بهَدْي الله تعالى إياهم إرساله محمّداً صلى الله عليه وسلم إليهم، فأيقظهم من غفلتهم فاتَّبعوه، ولم يعاندوا، ولم يستكبروا، ودلّ عليه قولهم: (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) مع ما يسّر الله لهم من قبولهم الدّعوة، وامتثالهم الأمر، فإنّه من تمام المنّة المحمود عليها، وهذا التّيسير هو الذي حُرِمه المكذّبون المستكبرون لأجل ابتدائهم بالتّكذيب والاستكبار، دون النّظر والاعتبار.(2)

وجملة (وما كنا لنهتدي) في موضع الحال من الضّمير المنصوب، أي هدانا في هذه الحال، حال بُعدنا عن الاهتداء، وذلك ممّا يؤذن بكبر منّة الله تعالى عليهم، وبتعظيم حمدهم وتجزيله، ولذلك جاءوا بجملة الحمد مشتملة على أقصى ما تشتمل عليه من الخصائص.

ودلّ قوله: (وما كنا لنهتدي) على بُعد حالهم السّالفة عن الاهتداء، كما أفاده نفي الكَون مع لام الجحود،.. فإنّهم كانوا منغمسين في ضلالات قديمة قد رسخت في أنفسهم.. وتأصّلت فيهم، فما كان من السّهل اهتداؤُهم، لولا أنْ هداهم الله ببعثة الرّسل، وسياستهم في دعوتهم، وأن قذف في قلوبهم قبول الدّعوة.

---

(1) البحر المحيط 347/5.

(2) انظر: التحرير والتنوير 302/5.

ولذلك عقبوا تحميدهم وثناءهم على الله بقولهم: لقد جاءت رسل ربنا بالحقّ) فتلك جملة مستأنفة، استئنافاً ابتدائياً، لصدورها عن ابتهاج نفوسهم واغتباطهم بما جاءتهم به الرّسل، فجعلوا يتذكّرون أسباب هدايتهم ويعتبرون بذلك ويغتبطون. تلذذاً بالتّكلّم به، لأن تذكّر الأمر المحبوب والحديثَ عنه، ممّا تلذّ به النّفوس، مع قصد الثّناء على الرّسل.

وتأكيد الفعل بلام القسم وبقَدْ، مع أنهم غير منكرين لمجيء الرسل: إما لأنّه كناية عن الإعجاب بمطابقة ما وعدهم به الرّسل من النّعيم لما وجدوه..، وإمّا لأنّهم أرادوا بقولهم هذا الثّناءَ على الرّسل، والشّهادة بصدقهم جمعاً مع الثّناء على الله، فأتَوا بالخبر في صورة الشّهادة المؤكّدة التي لا تردّد فيها.(1)

وقرأ ابن عامر: (ما كنّا لنهتدي) بدون واو قبل (ما)، وعلى هذه القراءة تكون هذه الجملة مفصولة عن التي قبلها، على اعتبار كونها كالتّعليل للحمد، والتّنويه بأنّه حمد عظيم على نعمة عظيمة.(2)

وهذا القول من أهل الجنة لإظهار السرور بما نالوا، والتلذذ بالتكلم به، لا للتقرب والتعبد، فإن الدار ليست لذلك؛ وهذا كما ترى مَنْ رُزِقَ خيراً في الدنيا يتكلم بنحو هذا، ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة(3).

5- قوله تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) (الأعراف: 75).

قرأ ابن عامر (وقال الملأ) بإثبات الواو،وقرأ الباقون: (قال الملأ) بغير واو.(4)

فالقراءة بإثبات الواو موافقة لرسم المصحف الشامي، والقراءة بغير واو موافقة لرسم بقية المصاحف.(5)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق قصة صالح عليه الصلاة والسلام مع قومه، حيث دعاهم إلى الإيمان بالله سبحانه، فاستكبر الملأ، وردّوا دعوته، واتبعه نفر من المستضعفين، قال تعالى:

---

(1) انظر: التحرير والتنوير 303/5، وروح المعاني 173/6.

(2) انظر: التحرير والتنوير 303/5.

(3) انظر: روح المعاني 173/6.

(4) انظر: النشر في القراءات العشر 270/2، وإيضاح الرموز ص399.

(5) انظر: المقنع ص 104، والنشر في القراءات العشر 270/2.

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)

توجيه القراءات:

وجه القراءة بغير واو: (قال الملأ) جرياً على طريقة أمثاله في حكاية المحاورات. فهؤلاء الملأ حين سمعوا ما قاله صالح عليه الصلاة والسلام، وعرفوا الذي جاءهم به من بينة وإنذار وتذكير، لم يواجهوه بالخطاب، وإنما توجهوا إلى أتباعه المستضعفين، يسألونهم عن علمهم به ورسالته، قائلين لهم: (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه؟) فلما أخذ الكلام منحى الحوار حسن أن يأتي بغير واو.

ووجه قراءة: (وقال) بالواو، العطف على كلام مقدّر دلّ عليه قوله: (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) والتّقدير: فآمن به بعض قومه، وقال الملأ من قومه..، فكأن الآية تشير إلى أن قومه صاروا فريقين، فريق المؤمنين، وهم القلة المستضعفة، ولم تذكر الآية هنا شيئاً من قولهم، وفريق الملأ المستكبرين، وهؤلاء توجهوا إلى المؤمنين يسألونهم، كما أخبرت الآية (وقال الملأ..).

وقد يكون قوله: (وقال الملأ..) عطفاً على: (قال يا قوم اعبدوا الله) [الأعراف: 73] الآية.(1)

لقد عَدَل الملأُ الّذين استكبروا عن مجادلة صالح عليه السّلام إلى اختبار تصلّب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولة إلقاء الشكّ في نفوسهم، ولما كان خطابهم للمؤمنين مقصوداً به إفساد دعوة صالح عليه السلام، كان خطابهم بمنزلة المحاورة مع صالح عليه السّلام، فلذلك فُصلت جملة حكاية قولهم على طريقة فصْل جُمل حكاية المحاورات.

ووَصْفُهم بالذين استكبروا هنا لتفظيع كِبْرهم وتعاظمهم على عامة قومهم، واستذلالهم إياهم، وللتّنبيه على أنّ الذين آمنوا بما جاءهم به صالح عليه السلام هم ضعفاء قومه.

ووصفهم بالذين استكبروا، ووصف الآخرين بالذين استُضْعِفُوا، فيه إشارة إلى أن استكبارهم هو صارفهم عن طاعة نبيّهم، وأنّ احتقارهم المؤمنين هو الذي لم يُسغ عندهم سبقَهم

---

(1) انظر: روح المعاني 239/6، والتحرير والتنوير 362/5.

إياهم إلى الخير والهدى.. كما حكى عن كفّار قريش بقوله: (وقال الذين كفروا للّذين آمنوا لو كان خيراً مَا سبقونا إليه وإذْ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) [الأحقاف: 11].

والذين استُضْعِفُوا هم عامّة النّاس الذين أذلّهم عظماؤهم واستعبدوهم، لأنّ زعامة الذين استكبروا قائمة على السّيادة الدّنيوية المجردة من خلال الفضيلة، كالعَدل، والرأفة، وحبّ الإصلاح، فلذلك وَصف الملأ بالّذين استكبروا، وأَطلق على العامة وصْفَ الذين استُضْعِفُوا.. وقوله: (لمن آمن منهم) بدل من (للذين استضعفوا) بإعادة حرف الجرّ الذي جرّ بمثله المبدل منه.. والاستفهام في (أتعلمون) للتشكيك والإنكار، فكأنهم قالوا للمؤمنين: ما نظنّكم آمنتم بصالح عليه السّلام عن علم بصدقه، ولكنّكم اتَّبعتموه عن عمى وضلال غير موقنين، وفي ذلك ما فيه من الاستهزاء.

وقد جيء في جواب (الذين استضعفوا) بالجملة الاسميّة للدّلالة على أنّ الإيمان متمكّن منهم بمَزيد الثّبات، فلم يتركوا للذين استكبروا مطمعاً في تشكيكهم، بلْه صرفَهم عن الإيمان برسولهم.(1)

ومراجعة الذين استكبروا بقولهم: (إنا بالذي آمنتم به كافرون) تدلّ على تصلّبهم في كفرهم وثباتهم فيه، إذ صيغ كلامهم بالجملة الاسميّة المؤكَّدة، ولم يقولوا لهم: إنا بما أرسل به صالح كافرون، بل قالوا: إنا بالذي آمنتم به كافرون، قصداً إلى الاستهزاء والاحتقار، فما دام هذا الشيء آمنتم به، فيجدر أن نكفر به ونرفضه، إذ لا نرضى أن نكون تبعاً لكم.

وهكذا نلاحظ أن كلاً من القراءتين لها دلالتها، وتضيف إلى فهم الآية معنى جديداً لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال تلك القراءة.

6- قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين...) (107: التوبة).

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (الذين) بغير واو، وقرأ الباقون: (والذين) بإثبات الواو.(2)

فالقراءة بغير واو موافقة لرسم المصحفين، المدني والشامي، والقراءة بإثبات الواو موافقة لرسم بقية المصاحف.(3)

---

(1) انظر: التحرير والتنوير 361/5، بتصرف.

(2) انظر: النشر في القراءات العشر 281/2، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، 391/1، وعزاها القباقبي في إيضاح الرموز ص 428 للمدنيين فقط، وهو سهو.

(3) انظر: المقنع ص 104، والنشر في القراءات العشر 281/2.

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق بيان طبقات المجتمع، وأحوال الناس فيه، فمنهم المؤمنون السابقون الأولون من المهاجرين، والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، ومنهم المنافقون الذين مردوا على النفاق، ومنهم المؤمنون الذين خلطوا بين الصالحات والسيئات،.. ومنهم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً، قال تعالى:

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

توجيه القراءات:

القراءة بغير واو(الذين اتخذوا..) على أن الجملة مستأنفة، ونكتة الاستئناف هنا التنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها وبين حال المراد بالجملة التي قبلها، وهم المُرْجَون لأمر الله. وجوّز السمين الحلبي أن تكون (الذين) بغير واو منصوبة على الاختصاص، كأنه قال: أذم الذين اتخذوا..(1)

والقراءة بإثبات الواو (والذين اتخذوا..) على أن هذه الجملة معطوفةٌ على التي قبلها لأنها مثلها في ذكر فريق آخر مثل مَن ذكر فيما قبلها. وعلى كلتا القراءتين فالكلام جملة إثر جملة، وليس ما بعد الواو عطف مفرد].(2)

---

(1) انظر: الدر المصون 6/119-120.

(2) انظر: التحرير والتنوير 6/382، بتصرف. وانظر أيضاً: الحجة للقراء السبعة 2/347، والكشف عن وجوه القراءات السبع 1/507، والدر المصون 6/119-120.

7- قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (30: الأنبياء).

قرأها ابن كثير (ألم ير) بلا واو، وقرأها الباقون (أولم ير) بالواو.(1)

فالقراءة بحذف الواو موافقة لرسم المصحف المكي، والقراءة بإثباتها موافقة لرسم بقية المصاحف.(2)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت الآية الكريمة في سياق الرد على الذين أشركوا بالله، ونسبوا إليه اتخاذ الولد، فبيَّنَ السياقُ كذِبَ هذا الادعاء، ثم عطف على ذلك ببيان قدرة الله سبحانه في فتق السماوات والأرض بعد أن كانتا رتقاً، وفي جعل الماء سبباً في حياة الأحياء،.. قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (29) وبعد ذلك جاءت الآية التي فيها القراءتان: (أولم ير الذين كفروا..)

توجيه القراءات:

القراءة بغير واو (ألم ير..) على الاستئناف،(3) فبعد أن رد القرآن شبهتهم وفَنَّدَها، دعا إلى التفكر والنظر في السماوات والأرض، وما حصل لهما من فتق، وإنزال للمطر...

والقراءة بالواو (أولم ير..) على العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول، وما فيه من العجائب.

والاستفهام على كِلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر.(4)

قال أبو السعود: {أَوَلَمْ يَرَ الذين كَفَرُواْ } تجهيلٌ لهم بتقصيرهم في التدبُّر في الآياتِ التكوينيةِ الدالةِ على استقلاله تعالى بالألوهية، وكونِ جميع ما سواه مقهوراً تحت ملكوتِه، والهمزةُ للإنكار، والواو للعطف على مقدّر، وقرىء بغير واو، والرؤيةُ قلبيةٌ، أيْ: ألم يتفكروا ولم يعلموا

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر 323/2، وإيضاح الرموز ص 531.

(2) انظر: المقنع ص 104.

(3) انظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع 110/2.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم 411/4، والتحرير والتنوير 149/9.

{ أَنَّ السموات والأرض كَانَتَا..{ رَتْقاً }؟ والرتْق هو الضمُّ والالتحامُ، والمعنى إما على حذف المضافِ، أو هو بمعنى المفعولِ، أيْ: كانتا ذواتيْ رتْقٍ، أو مرتوقتين،..{ ففتقناهما }. قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير: كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين، ففصل الله تعالى بينهما، ورفع السماءَ إلى حيث هي، وأقرّ الأرض،.. وقال مجاهد والسدي: كانت السمواتُ مُرتتِقَةً طبقةً واحدة ففتقها، فجعلها سبعَ سموات، وكذلك الأرضُ كانت مرتتِقةً طبقةً واحدةً ففتقها، فجعلها سبعَ أرضين. وقال ابن عباس في رواية عطاء، وعليه أكثرُ المفسرين: إن السمواتِ كانت رتْقاً مستويةً صُلْبة لا تمطر، والأرضُ رتْقاً لا تُنبت، ففتق السماءَ بالمطر، والأرضَ بالنبات..(1)

ومن حيث النظر العلمي الحديث نجد أن نص هذه الآية يتفق مع أحدث النظريات في نشأة الكون، فالسماوات والأرض كانتا في أول أمرهما ملتصقتين داخل السديم(2) الذي يحتويهما، ثم انفصلتا نتيجة انفجارات شديدة حدثت داخل السديم، وتم الانفتاق الذي أشارت إليه الآية، بعد أن كانتا مرتوقتين متصلتين، وفي ذلك إشارة لما حدث في الكون من انفجارات، انتشرت بسببها مادة الكون فيما حولها من فضاء، وأدى ذلك إلى تكوين أجرام السماء المختلفة.

إن الأرض والسماوات بما تحويه من مجرّاتٍ وكواكبَ ونجومٍ، والتي تشكل بمجوعها الكون الذي نعيش فيه، كانت في الأصل عبارة عن كتلة واحدة ملتصقة؛ إذ الرتق هو الالتصاق، ثم حدث لهذه الكتلة الواحدة (فتق)، أي انفصال وانفجار، تكونت بعده المجرات والكواكب والنجوم، وهذا ما كشفه علماء الفلك في نهاية القرن العشرين.(3)

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم 411/4.

(2) السديم: الضباب الرقيق، والبقع السحابية المتوهجة، أو المغيمة في الفضاء، وهي ناشئة عن تكاثف، أو تصادم عدد لا يحصى من الأجرام السماوية، أو: هي عبارة عن كتلة ضخمة من الغازات والأدخنة التي تشكل منها الكون. انظر: المعجم الوسيط 879/1.

(3) انظر: مقالاً بعنوان: (من أسرار القرآن، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية)، موقع arabmail، ورابطه هو: http://www.arabmail.de/zaghlul.html ، ومقالاً بعنوان: (كانتا رتقاً)، ورابطه هو:
http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=518

8- قوله تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) (37: القصص).

قرأ ابن كثير: (قال موسى) بغير واو، وقرأ الباقون: (وقال موسى) بإثبات الواو.(1)

القراءة بغير واو موافقة لرسم المصحف المكي، والقراءة بواو موافقة لرسم بقية المصاحف.(2)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق قصة موسى عليه الصلاة والسلام، حيث أرسله الله تعالى إلى فرعون وملئه، يدعوهم إلى الإيمان بالله، ويعرض عليهم ما آتاه الله من المعجزات، فكذبوه واتهموه بأنه جاءهم بسحر مفترى، قال تعالى:

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ(36) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(37) .

توجيه القراءات:

القراءة بغير الواو (قال موسى) على الاستئناف، والقراءة بالواو على العطف. (3)

والقراءة بغير الواو على أصل حكاية المحاورات، أما القراءة بإثبات الواو فتشير إلى أن المراد حكاية القولين ليوازنَ السَّامعُ بينهما، فيميِّز صحيحَهما من الفاسدِ، ليظهر للسامع التفاوت بينهما في مصادفة الحق، ويتبصر فساد أحدهما وصحة الآخر،(4) وبضدها تتبين الأشياء، فلهذا عطفت الجملة جرياً على الأصل غير الغالب، للتنبيه على أن فيه خصوصيةً غيرَ المعهودة في مثله، فتكون معرفة التفاوت بين المحتجين مُحالة على النظر في معناهما. وقد حصل من مجموع القراءتين الوفاء بحق الخصوصيتين من مقتضى حالي الحكاية.(5)

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر 341/2، وإيضاح الرموز ص580.

(2) انظر: المقنع ص 106، والنشر في القراءات العشر 341/2.

(3) انظر: الكشف 174/2، والدر المصون 564/8.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم 232/5.

(5) انظر: التحرير والتنوير 391/10.

المطلب الثاني: ما اختلف فيه القراء والمصاحف بين القراءة بالواو أو بالفاء، وهما موضعان:

9- قوله تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) (217: الشعراء).

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: (فتوكل) بالفاء، وقرأ الباقون: (وتوكل) بالواو.(1)

فالقراءة بالفاء موافقة لرسم مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، والقراءة بالواو موافقة لرسم بقية المصاحف.(2)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق تكليف الرسول صلى الله عليه وسلم بجملة أمور، منها دعوة عشيرته الأقربين، والتواضع لأتباعه من المؤمنين، والتبرؤ من الشرك، والتوكل على الله العزيز الرحيم، قال تعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (213) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (220) [الشعراء]

توجيه القراءات:

القراءة بالواو (وتوكل) تفيد العطف على جواب الشرط، أي قل: إني بريء وتوكل، أو: تبرأ وتوكل، وعطفه على الجواب يقتضي تسببه على الشرط كتسبب الجواب، وهو يستلزم المبادرة إليه، والمعنى: فإن عصاك أهل عشيرتك فتبرأ منهم، ولما كان التبرؤ يؤذن بحدوث مجافاة وعداوة بينه وبينهم ثـبَّت الله جأش رسوله بأن لا يعبأ بهم، وأن يتوكل على ربه، فهو كافيه، كما قال: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق: 3].

والقراءة بالفاء (فتوكل) فيها عطف الأمر بالتوكل بفاء التفريع، فكأنه جعل ما بعد الفاء كالجزاء لما قبلها مترتباً عليه،(3) فيكون تفريعاً على: (فقل إني بريء مما تعملون) [الشعراء: 216] تنبيهاً على المبادرة بالعوذ من شرِّ أولئك الأعداء، وتنصيصاً على اتصال التوكل بقوله: (إني بريء..).

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر 336/2، وإيضاح الرموز ص568.

(2) انظر: المقنع ص106، والنشر في القراءات العشر 336/2.

(3) انظر: الدر المصون 564/8، والتحرير والتنوير 234/10.

وعلق التوكل بالاسمين (العزيز الرحيم)، وما تبعهما من الوصف بالموصول، وما ذيل به من الإيماء إلى أنه يُلاحظ قوله ويعلم نيتَه، إشارة إلى أن التوكل على الله يأتي بما أومأت إليه هذه الصفات ومستتبعاتها بوصف (العزيز الرحيم)؛ للإشارة إلى أنه بعزته قادر على تغلبه على عدوّه الذي هو أقوى منه، وأنه برحمته يعصمه منهم. والتوكل: تفويض المرء أمره إلى من يكفيه مُهمهُ(1).

10- قوله تعالى: (ولا يخاف عقباها) (15: الشمس).

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: **(فلا يخاف)** بالفاء،وقرأ الباقون: (ولا يخاف) بالواو.(2)

فالقراءة بالفاء موافقة لرسم المصحف المدني والشامي، وبالواو موافقة لرسم بقية المصاحف.(3)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في ختام سورة الشمس، وعقب الحديث عن ثمود وتكذيبهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام، وعقرهم الناقة، فقد استوجبوا العقاب بهذه الأفعال، فأهلكهم الله سبحانه. قال تعالى:

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) (15) [الشمس]

توجيه القراءات:

القراءة بالواو (ولا يخاف) فيها وجهان، فإما أن تكون واو الاستئناف، أو واو الحال.(4)

والمعنى: فسواها غير خائف عقباها، وفاعل لا يخاف هو الضمير العائد إلى (ربُهم)، أو إلى (رسول الله)(5)

والعَقْر: جرح البعير في يديه، ليبرك على الأرض من الألم، فيُنحَر في لبَّتِهِ، فالعقر كناية مشهورة عن النحر لتلازمهما.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير 234/10. وانظر أيضاً: لسان العرب (وكل)، 734/11.

(2) انظر: النشر في القراءات العشر 401/2، وإيضاح الرموز ص732.

(3) انظر: المقنع ص108، والنشر في القراءات العشر 401/2.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم 21/7.

(5) انظر: الحجة للقراء السبعة 129/4، والكشف عن وجوه القراءات السبع 383/2، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 38/7، والدر المصون 25/11.

والدمدمة صوت الصاعقة والرجفة التي أهلكوا بها، قال تعالى: (فأخذتهم الصيحة) [الحجر:83].

ووزن دَمْدَم فَعْلَل، وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض،..

وفرّع على «دمدم عليهم» (فسواها) أيْ: فاستَووا في إصابتها لهم، فضمير النصب عائد إلى الدمدمة المأخوذة من "دمدم عليهم"، ومن فسر «دمدم» بمعنى: أطبق عليهم الأرض قال: معنَى «سوَّاها»: جعل الأرض مستوية عليهم، لا تظهر فيها أجسادهم ولا بلادهم، وجَعَل ضمير المؤنث عائداً إلى الأرض المفهومة من فعل «دمدم»، فيكون كقوله تعالى: (لو تُسَوَّى بهم الأرض) [النساء: 42].(1) أو: فسَوَّى القبيلةَ في الهلاك، لم ينج منهم أحد(2)

والعقبى: ما يحصل عقِب فعل من الأفعال مِن تَبِعَةٍ لفاعِلِه أو مَثوبة، ولما كان المذكور عقاباً وغلبة، وكان العرف أن المغلوب يُكنّ في نفسه الأخذ بالثأر من غالبه، فلا يهدَأ له بال حتى يثأر لنفسه،.. فكان الذي يغلب غيره يتقي، حذراً من أن يتمكن مغلوبُه من الثأر، أَخْبَرَ الله أنه الغالب الذي لا يقدر مغلوبُه على أخذ الثأر منه،(3) وهذا كناية عن تمكن الله من عقاب المشركين، وأن تأخير العذاب عنهم إمهال لهم، وليس عجزاً عنهم، فجملة (ولا يخاف عقباها) تذييل للكلام وإيذان بالختام.

ويجوز أن يكون قوله: (ولا يخاف عقباها) تمثيلاً لحالهم في الاستئصال بحال من لم يترك مَن يثأر له، فيكون المثَل كناية عن هلاكهم عن بكرة أبيهم، لم يبق منهم أحد.

والقراءة بالفاء (فلا يخاف عقباها) للتفريع على (فدمدم عليهم ربهم).. ومعنى التفريع بالفاء على هذه القراءة: تفريع العلم بانتفاء خوف الله منهم مع قوَّتهم، ليرتدع بهذا العلم أمثالهم من المشركين.(4)

قال ابن عطية: "والمعنى فلا درك على الله في فعله بهم، لا يسأل عما يفعل، وهذا قول ابن عباس والحسن، وفي هذا المعنى احتقار للقوم وتعفية لأثرهم، ويحتمل أن يكون – المراد بها - صالحاً عليه السلام، أي لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم إذا كان قد أنذرهم وحذرهم".(5)

---

(1) انظر: التحرير والتنوير 285/16.

(2) انظر: المحرر الوجيز 38/7.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم 21/7، وروح المعاني 477/22، والتحرير والتنوير 285/16.

(4) انظر: التحرير والتنوير 285/16.

(5) المحرر الوجيز 38/7.

المطلب الثالث: ما اختلف فيه القراء والمصاحف بين القراءة بالواو أو بأو، وهو موضع واحد:

11- قوله تعالى: وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) [26: غافر] .

قرأ الكوفيون ويعقوب: (أو أن)، وقرأ الباقون: (وأن)، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وحفص: (يُظهر في الأرض الفسادَ)، وقرأ الباقون: (يَظهَر في الأرض الفسادُ).(1)

فيكون تفصيل هذه القراءات كما يلي:

قرأ حفص ويعقوب: (أو أن يُظهرَ في الأرض الفسادَ)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة: (أو أن يَظهر في الأرض الفسادُ)، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر: (وأن يُظهر في الأرض الفسادَ)، وقرأ ابن كثير وابن عامر: (وأن يَظهرَ في الأرض الفسادُ).

فقراءة (أو أن) موافقة لرسم مصحف الكوفة، وقراءة (وأن) موافقة لرسم بقية المصاحف.(2)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وملئه، حيث عرض عليهم الدعوة فرفضوها، واتهموا موسى بالسحر والكذب، واستمروا في قتل أبناء بني إسرائيل، واستحياء نسائهم، وتطاول فرعون ببغيه يريد أن يقتل موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ) (27) [غافر]

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر 365/2، وإيضاح الرموز ص 634.

(2) انظر: المقنع ص 106، والنشر في القراءات العشر 365/2.

توجيه القراءات:

القراءة بأو (أو أن) على الترديد والتخيير بين الأمرين، ففرعون حين استشار قومه في قتل موسى عليه الصلاة والسلام، أظهر لهم حذره من أن يؤدي بقاء موسى إلى حدوث أحد هذين الأمرين؛ تبديل دينهم أو ظهور الفساد في الأرض، فحدوث أحد الأمرين يخيفه ويقض مضجعه.

والقراءة بواو العطف(وأن) على إرادة الجمع بين الأمرين، لأن فرعون يحذّر من أن يؤدي بقاء موسى إلى تبديل دينهم وظهور الفساد في الأرض، فهو خائف من حصول الأمرين معاً. وإذا كان خائفاً من حصول أحد الأمرين، فخوفه من حصولهما معاً أشد وأعظم.(1)

ومعنى قول فرعون: (ذروني) إعلامهم بعزمه على قتل موسى، وميله لذلك، وانتظاره الموافقة عليه، بحيث يمثّل حاله وحال المخاطبين بحال من يريد فعل شيء، فَيُصدّ عنه، فلرغبته فيه يقول لمن يصده: دَعْنِي أفعل كذا،.. ثم استعمل هذا في التعبير عن الرغبة، ولم يكن ثمة معارض أو ممانع.. وذلك يستتبع كناية عن خطر ذلك العمل، وصعوبة تحصيله، لأن مثله مما يَمنع المستشارُ مستشيره من الإقدام عليه، ولذلك عطف عليه: (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ)، لأن موسى خوّفهم عذاب الله، وتحدَّاهم بالآيات التسع. ولام الأمر في: (وَلْيَدعُ رَبَّهُ) مستعملة في التسوية وعدم الاكتراث، وجملة (إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) تعليل للعزم على قتل موسى، والخوف مستعمل في الإشفاق، أيْ: أظن ظناً قوياً أن يبدل دينكم.

والإضافة في قوله: (دينكم) تعريض بأنهم أولى بالذبّ عن الدين، وإن كان هو دينَه أيضاً، لكنه تجرد في مشاورتهم عن أن يكون فيه مراعاة لحظ نفسه..، والأرض: هي المعهودة عندهم، وهي مملكة فرعون.

ومعنى إظهار موسى الفساد عندهم: أنه يتسبب في ظهوره، بدعوته إلى تغيير ما هم عليه من الديانة والعوائد. وأطلق الإظهار على الفُشُوِّ والانتشار على سبيل الاستعارة، وقد حمله غروره، وقلة تدبره في الأمور على ظَنِّ أن ما خالف دينهم يُعَدُّ فساداً؛ إذ ليست لهم حجة لدينهم غير الإلف والانتفاع العاجل.

وقراءة (يُظهِرَ في الأرض الفسادَ) بمعنى: يكون سبباً في ظهور الفساد، وقراءة (يَظهَرَ في الأرض الفسادُ) على معنى أن الفساد يظهر بسبب ظهور أَتْباع موسى، أو بأن يجترئَ غيرُهُ على مثل دعواه، فتزول حُرمة الدولة، ويضعف شأنها عند الناس، فيجترئوا عليها.(2)

---

(1) انظر: الحجة للقراء السبعة 3/348-349، والكشف 2/242، والدر المصون 9/471.

(2) انظر: التحرير والتنوير 12/426.

المطلب الرابع: ما اختلف فيه القراء والمصاحف من حيث الإعراب، وهو ثلاثة مواضع

12- قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (137: الأنعام).

قرأ ابن عامر (زُيّن.. قتلُ أولادَهُم شركائِهم) ببناء (زُين) للمفعول، ورفع (قتلُ) ونصب (أولادَهم) و(شركائِهم) بالهمزة المكسورة، وقرأ الباقون: (زَيَّن) بالبناء للمعلوم، (قتلَ) بالنصب، (أولادِهِم) بالجر، (شركاؤُهم) بالهمزة المضمومة.(1)

فقراءة ابن عامر موافقة لرسم المصحف الشامي، وقراءة الباقين موافقة لرسم سائر المصاحف.(2) والشاهد هنا في كلمة (شركاؤهم) حيث رسمت واواً، وقرأها عامة القراء بالواو المهموزة، ورُسمت ياءً، وقرأها ابن عامر بالياء المهموزة.

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق بيان ما شرعه المشركون من تشريعات، اتبعوا فيها أهواءهم بغير علم، وكان منها ما زينه لهم شركاؤهم وأولياؤهم من الشياطين من قتل أبنائهم، وتحريم كثير من المباحات، وإباحة كثير من الخبائث المحرمة، وتخصيص بعض ما ينتج من الزرع والأنعام لله، وبعضه لشركائهم، ثم عدوانهم على ما جعلوه نصيباً لله سبحانه(3)، قال تعالى:

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136)

---

(1) انظر: النشر في القراءات العشر 263/2، وإيضاح الرموز ص386-387.

(2) انظر: المقنع ص104، والنشر في القراءات العشر 2/ 263.

(3) قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: هذا بيان نوع آخر من أنواع كفرهم وجهلهم وإيثارهم لآلهتهم على الله سبحانه، أي جعلوا لله سبحانه مما خلق من حرثهم ونتاج دوابهم نصيباً، ولآلهتهم نصيباً من ذلك، يصرفونه في سدنتها، والقائمين بخدمتها، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك، عوّضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا: الله غنيّ عن ذلك،..{ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى الله}، أيْ: إلى المصارف التي شرع الله الصرفَ فيها، كالصدقة وصلة الرحم وقرى الضيف، {وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكَائِهِمْ}، أيْ: يجعلونه لآلهتهم، وينفقونه في مصالحها، {سَاء مَا يَحْكُمُونَ}، أيْ: ساء الحكمُ حكمُهم في إيثار آلهتهم على الله سبحانه. فتح القدير 480/2.

توجيه القراءات

قراءة (زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) هي قراءة الجمهور، ومعناها: أن الشركاء زينوا لكثير من المشركين أن يقتلوا أولادهم، من خلالِ وأدِ البناتِ، أو تقديمِ الأبناءِ قرابينَ للآلهة، فـ(شركاؤهم) فاعل (زين)، و(قتلَ) مفعول به، و(أولادِهِم) مضاف إليه.

وقراءة (زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) هي قراءة ابن عامر الشامي، وقد اعترض عليها بعض النحاة والمفسرين،(1) وردّوها، إذ رأوا فيها مخالفةً للقاعدة النحوية، التي لا تسمح بالفصل بين المضاف والمضاف إليه بأجنبي، ولكنَّ المحققين من العلماء بينوا صحةَ هذه القراءة، وتواترَها، وموافقتها لرسم المصحف، وصحة وجهها في العربية، ونصروها بكثير من الأدلة والشواهد.

والمعنى على هذه القراءة قريب من المعنى على القراءة الأولى، فكثير من المشركين زُين لهم أن يقتلوا أولادهم، وأداً أو تقرباً للآلهة، والمزينون لهم ذلك هم شركاؤهم.(2)

وقد انتصر لهذه القراءة كثير من النحاة والمفسرين، ودافعوا عنهم بالحجج القوية، وفي هذا يقول ابن مالك:

.... وفي اختيار قد أضافوا المصدرا
لفاعل من بعد مفعول حجز كقول بعض القائلين في الرجز
يفرك حب السنبل الكُنَافِجِ(3) في القاع فركَ القُطُنَ المحالجِ
وحجتي قراءةُ ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر

ثم قال في الشرح: "فعُلم بهذا أن قراءة ابن عامر رحمه الله غيرُ منافية لقياس العربية، على أنها لو كانت منافيةً له لوجب قبولها لصحة نقلها، كما قُبِلَتْ أشياءُ تُنافي القياسَ بالنقل، وإن لم تُساوِ صِحَّتُها صِحةَ القراءة المذكورة، ولا قاربتها".(4)

---

(1) مثل: الطبري، والفراء، والنحاس، وابن خالويه، وأبي علي الفارسي، والزمخشري، انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن 138/12، والحجة في القراءات السبع، ص 150-151، والكشاف 179/2).

(2) انظر: البحر المحيط، 264/5، والتحرير والتنوير 147/5.

(3) الكُنَافِجُ: الغليظ الناعِمُ...، والكثير من كل شيء، وهو أيضاً: السمين الممتلئ. انظر: المخصص 147/1، و151/3، وتهذيب اللغة 422/3.

(4) شرح الكافية الشافية، ص978-988.

وكان احتجاج العلماء لهذه القراءة يدور على إثبات أنها متفقة مع أركان القراءة المقبولة، وهي:

صحة الإسناد، وموافقة العربية ولو بوجه، وموافقة الرسم العثماني ولو تقديراً. (1) وقد بيَّنُوا أن هذه الأركانَ الثلاثةَ متحققةٌ في هذه القراءة، فقد رواها ابن عامر الشامي(ت118هـ) وهو عربي صريح النسب فصيح اللسان، وهو أعلى القراء سنداً، تلقى على عدد من الصحابة والتابعين،(2) وقراءته هذه موافقة لرسم مصحف أهل الشام الذي كتبه الصحابةُ بأمر عثمان رضي الله عنه، وهي قراءةٌ موافقة للغة العرب كما تقدم، فلا يسوغُ ردها، أو الاعتراضُ عليها.(3)

13- قوله تعالى: (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) (10-12: الرحمن).

قرأ ابن عامر: (والحبَّ ذا العصف والريحانَ) بنصب الأسماء الثلاثة، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (والريحانِ) بخفض النون. وقرأ الباقون برفع الأسماء الثلاثة (والحبُّ ذو العصفِ والريحانُ).(4)

قراءة ابن عامر: (والحبَّ ذا العصف والريحانَ) موافقةٌ لرسم المصحف الشامي، وقراءة الباقين موافقة لرسم بقية المصاحف.(5)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في أوائل سورة الرحمن، حيث أوردت السورة جملة من الآلاء التي أنعم الله بها على الناس، لتدعوهم بعد ذلك إلى شكر هذه النعم، وعدم الجحود والتكذيب بها، قال تعالى:

(الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8)

---

(1) انظر هذه الأركان في: النشر في القراءات العشر 9/1، ومقدمات في علم القراءات ص 69-71.

(2) من الصحابة الذين قرأ عليهم ابن عامر: أبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وفضالة بن عبيد، ومن التابعين: المغيرة بن أبي شهاب الذي تلقى القراءة على عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، 82/1 وما بعدها، وغاية النهاية في طبقات القراء، 423/1 وما بعدها.

(3) انظر: القاعدة النحوية ومدى صلاحها للحكم على القراءات القرآنية، ص 190-191.

(4) انظر: النشر في القراءات العشر 380/2، وإيضاح الرموز ص 683.

(5) انظر: المقنع ص 108، والنشر في القراءات العشر 380/2.

وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (13) [الرحمن]

معنى الآية

الأكمام: أوعيةُ الثمرِ، أو كلُّ ما يُكَمّ؛ أيْ: يُغطّي من ليفٍ وسعفٍ.. والحبُّ: ما يُتغذّى بهِ؛ كالحنطةِ والشعيرِ، والعصفُ: التبنُ، أو ورقُ الزرعِ، والريحانُ: هو الرزقُ، أو اللبُّ. (1)

توجيه القراءات

القراءة بالنصب عطفاً على (الأرض) في قوله: (والأرضَ وضعها للأنام)، لأن لفظ (وضعها) يدل على: خَلَقَها، وفي الكلام اشتغال، والتقدير: وخلق الأرضَ خلقها للأنام، وخلق الحبَ ذا العصف والريحانَ. ويجوز أن يكون النصب على الاختصاص، والتقدير: (فيها فاكهة.. وأخصُّ الحبَّ ذا العصف والريحانَ).

والقراءة بالرفع عطفاً على (فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمام)، والقراءة بجر (والريحانِ) عطفاً على (العصفِ)، والتقدير: والحب ذو العصفِ وذو الريحانِ.(2)

14- قوله تعالى: (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) (78: الرحمن).

قرأ ابن عامر: (ذو الجلال) بواو بعد الذال، وقرأ الباقون: (ذي الجلال).(3) فقراءة ابن عامر موافقة لرسم المصحف الشامي، وقراءة الباقين موافقة لرسم بقية المصاحف.(4)

معنى الآية:

تباركَ: تفاعلَ من البركة. قال الرّازي: وأصل التبارك من التبرّك، وهو الدوام والثبات، ومنه برك البعير، وبركة الماء؛ فإن الماء يكون دائماً، والمعنى: دام اسمه وثبت، أو دام الخير عنده؛ لأن البركة - وإن كانت من الثبات - لكنها تُستعمل في الخير، أو يكون معناه: علا وارتفع شأنه، وفي هذه الكلمة معنى التنزيه والتقديس لله سبحانه، وإذا كان هذا التبارك منسوباً إلى اسمه عزّ وجلّ، فما ظنك بذاته سبحانه؟(5)

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم 246/6.

(2) انظر: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، 345/2، وإرشاد العقل السليم 246/6، والمغني في توجيه القراءات العشر، 274/3-275.

(3) انظر: النشر في القراءات العشر 382/2، وإيضاح الرموز ص 685.

(4) انظر: المقنع ص 108، والنشر في القراءات العشر 382/2.

(5) انظر: فتح القدير 116/7، وروح المعاني 193/20.

والجلال: العظمة والكبرياء واستحقاق صفات المدح، يقال : جلّ الشيءُ، أي: عَظُمَ، وأجللتُه، أي: أعظمته، وهو اسم من جَلَّ. ومعنى ذو الإكرام: أنه يُكرَم عن كل شيء لا يليق به، أو: إنه ذو الإكرام لأوليائه بما يعطيهم من الكرامة.(1)

توجيه القراءات:

قراءة (ذو الجلال) بالرفع على أن (ذو) نعت لـ(اسمُ)، والمعنى: أن اسم الله تعالى جليلٌ، وقراءة: (ذي الجلال) بالجر على أن (ذو) نعت لـ(ربِّك)،(2) والمعنى: أن الله تعالى جليلٌ.

المطلب الخامس: ما اختلف فيه القراء والمصاحف من حيث التصريف، وهو موضع واحد:

15- قوله تعالى: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (132: البقرة).

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: (وأوصى)، بألف بين الواوين، وقرأ الباقون: (ووصَّى). (3)

قراءة (وأوصى) موافقة لرسم مصاحف المدينة والشام، وقراءة (ووصّى) موافقة لرسم بقية المصاحف.(4)

السياق الذي جاءت فيه الآية:

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبنائه البيت، واصطفاء الله له، قال تعالى:

(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (133)

توجيه القراءات:

---

(1) انظر: زاد المسير في علم التفسير، 463/5، وفتح القدير 106/7

(2) انظر: كشف المشكلات 348/2، وإرشاد العقل السليم 255/6، وفتح القدير 116/7.

(3) انظر: النشر في القراءات العشر 222/2-223، وإيضاح الرموز ص 288.

(4) انظر: المقنع ص 102، والنشر في القراءات العشر 222/2.

وصّى وأوصى فعلان ماضيان، أولهما من التوصية، والثاني من الإيصاء، وهما بمعنى واحد.(1) لكن في وصّى زيادة تأكيد على هذه الوصية. قال الطبري: وقد قرأ جماعة من القرأة:"وأوصى بها إبراهيم"، بمعنى: عَهِدَ.

وأما من قرأ"ووصّى" مشددة، فإنه يعني بذلك أنه عهد إليهم عهداً بعد عهد، وأوصى وصية بعد وصية. (2)

وفي هذه الوصية توكيدٌ لوجوب الرغبة في مِلة إبراهيم عليه السلام، والتوصيةُ: التقدمُ إلى الغير بما فيه خيرٌ وصلاح من فعلٍ أو قولٍ، وأصلُها الوَصْلة يقال: وصّاه إذا وصلَه، وفصّاه إذا فَصَلَه كأن الموصِيَ يصِلُ فعلَه بفعل الوصيّ، والضمير في (بِها) للمِلّة.. (3)

الخاتمة

في ختام هذا البحث أذكر أهم الأفكار التي تضمنها، والنتائج التي توصل إليها، فمن ذلك:

1. كان ميدان هذا البحث: القراءات القرآنية ورسم المصاحف، وتحديداً في الواو والاختلاف الواقع فيها بين قراءات القراء ورسم المصاحف.
2. اشتمل البحث على تعريف بالقضايا ذات الصلة، وهي: علم القراءات، وعلم الرسم، وعلم الاحتجاج للقراءات. كما تطرق إلى ذكر القراء العشرة ورواتهم بإيجاز.
3. تظهر أهمية هذا البحث في سبقه إلى جمع المواضع التي وقع فيها اختلاف القراء والمصاحف في قراءة الواو ورسمها، وترتيب هذه المواضع وتوجيهها.
4. اعتنى البحث بالسياق الذي ترد فيه الآية التي اختلف القراء في قراءتها، والمصاحف في كتابتها، وذلك لتوضيح المعنى على كل من القراءتين، كما اعتنى بذكر سبب النزول في الموضع الذي استدعى ذكره، لتفهم الآية بصورة واضحة.
5. وفي أحد المواضع التي أشارت إلى حقيقة علمية تطرق البحث إلى ذكر أشهر أقوال المفسرين، ثم ربط ذلك بالحقائق التي توصل إليها العلم الحديث.
6. تتبع البحث جميع مواضع الواو التي حصل فيها اختلاف القراء والمصاحف، بمنهجية واحدة، أو متقاربة، وسعى إلى إخراجها في عمل علمي متكامل.

---

(1) انظر: معالم التنزيل، 153/1، وفتح القدير 184/1.

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 96/3.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم 208/1.

7. ومما سبق يتبين أن هذا البحث قد فتح آفاقاً جديدة للبحث في القراءات القرآنية ورسم المصاحف، ويرجى أن يكثر المرتادون لهذه الآفاق، والباحثون فيها.

المصادر والمراجع

1- إبراهيم مصطفى، وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية.

2- ابن الجزري (شمس الدين محمد بن محمد ت833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، بعناية: ج. برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1402هـ 1982م، (ط3).

3- ابن الجزري، (شمس الدين محمد بن محمد ت833هـ)، **النشر في القراءات العشر**، بعناية الشيخ علي محمد الضباع، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

4- ابن الجزري، (شمس الدين محمد بن محمد ت833هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، مراجعة: محمد حبيب الله الشنقيطي، وأحمد محمد شاكر بيروت، دار الكتب العلمية، ط سنة 1400هـ=1980م.

5- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت 597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، دمشق، المكتب الإسلامي، سنة 1384هـ=1964م، (ط1)

6- ابن خالويه (الحسين بن أحمد ت370هـ)، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1410هـ= 1990م، (ط1).

7- ابن زنجلة (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد ت بعد 400هـ)، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1418هـ=1997م، (ط5).

8- ابن سيده (علي بن إسماعيل الأندلسي)، **المخصص**

9- ابن عاشور (محمد الطاهر ت 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، المكتبة الشاملة.

10- ابن عطية (عبد الحق بن غالب ت 541هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المكتبة الشاملة.

11- ابن كثير الدمشقي (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي محمد سلامة. المدينة المنورة، دار طيبة، سنة 1420هـ= 1999م، (ط2).

12- ابن مالك الطائي (محمد بن عبد الله ت672هـ)، **شرح الكافية الشافية**، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، (د.ت).

13- ابن منظور(محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط1.

14- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي (ت745هـ)، **البحر المحيط**، المكتبة الشاملة.

15- الأزهري، **تهذيب اللغة**.

16- الآلوسي (شهاب الدين محمود بن عبد الله ت 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المكتبة الشاملة.

17- الباقولي (نور الدين علي بن الحسين ت543هـ)، **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات**، تحقيق: د. عبد القادر السعدي، عمّان، دار عمّار سنة 1421هـ=2001م، (ط1).

18- البخاري (محمد بن إسماعيل ت 256هـ)، **الجامع الصحيح المسند**.

19- البغوي (الحسين بن مسعود الفراء ت 516هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، بيروت، دار المعرفة، سنة 1406هـ=1986م، (ط1)

20- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد ت444هـ)، **المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار**.

21- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ)، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: د. بشار عواد معروف وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة سنة 1404هـ= 1984م، (ط1).

22- زرزور (د. عدنان محمد) ، **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه**، دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، سنة 1416هـ= 1995م، (ط1).

23- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر ت 538هـ)، **الكشاف عن وجوه التأويل**، المكتبة الشاملة.

24- السمين الحلبي (أحمد بن يوسف ت 756هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: د. أحمد محمد الخرّاط. دمشق، دار القلم، سنة 1406هـ=1986م، (ط1).

25- الشوكاني (محمد بن علي ت 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت، دار الفكر، سنة 1393هـ=1973م، (ط3).

26- الشوكاني (محمد بن علي ت 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**.

27- الضبّاع (علي بن محمد ت 1381هـ)، **سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب**

المبين، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، سنة 1420هـ= 1999م، (ط1).

28- الطبري (محمد بن جرير ت 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

29- العايد (د. سليمان إبراهيم)، **عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم**، المكتبة الشاملة.

30- العمادي (أبو السعود ت951هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**.

31- الفارسي (أبو علي أحمد بن عبد الغفار ت 377هـ)، **الحجة للقراء السبعة**، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، (ط1).

32- الفيروز آبادي، (مجد الدين محمد بن يعقوب ت817هـ)، **القاموس المحيط**، بيروت، دار الجيل، (د.ت).

33- القباقبي (شمس الدين محمد بن خليل ت 849هـ)، **إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة**، تحقيق: د. أحمد خالد شكري، عمّان، دار عمّار، سنة 1424هـ= 2003م، (ط1).

34- القضاة (د. أحمد محمد مفلح)، **دراسات في علوم القرآن والتفسير**، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، سنة 2005م، (ط1).

35- القضاة (د. أحمد محمد مفلح)، وشكري (د. أحمد خالد)، **القاعدة النحوية ومدى صلاحها للحكم على القراءات القرآنية**، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، الأردن، مجلد 7 العدد 2، سنة 2001م.

36- القضاة (د. أحمد محمد مفلح، وآخرون)، **مقدمات في علم القراءات**، عمّان، دار عمار سنة 1422هـ= 2001م، (ط1).

37- القيسي (مكي بن أبي طالب ت437هـ)، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دمشق، مجمع اللغة العربية، سنة 1394هـ=1974م.

38- الكحيل (المهندس عبد الدائم)، مقال بعنوان: **(كانتا رتقاً)**، ورابطه هو: http://www.kaheel7.com/modules.php?name=News&file=article&sid=518

39- المجالي (د. محمد خازر)، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، عمّان، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، سنة 2004م، (ط1).

40- محيسن (د. محمد محمد سالم ت1422هـ)، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، بيروت، دار الجيل، سنة 1998، (ط1).

41- محيسن (د. محمد محمد سالم ت1422هـ)، **المغني في توجيه القراءات العشر**، المدينة المنورة، مطابع الرشيد (د.ت) (ط1).

42- النجار (د. زغلول راغب)، مقال بعنوان: **(من أسرار القرآن، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية)**، موقع arabmail، ورابطه هو: http://www.arabmail.de/zaghlul.html .

43- النسفيّ (أبو البركات عبد الله بن أحمد ت 710هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، المكتبة الشاملة، 183/1.

44- النشار (سراج الدين عمر بن قاسم ت938هـ)، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، تحقيق: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، وأحمد عيسى المعصراوي، بيروت، عالم الكتب، سنة 1421هـ=2000م، (ط1).